مجلة الرائد

العدد : ١٨٤ الموافق في جمادى الثانية ١٤١٧ هجري ١١ / ١٩٩٦ ميلادي

قـــــــراءة فـــي صـــحـــيـــح الـــبـــخـــاري : أنـــا أعـــلـــمـــكـــم بـــالله	بقلم : نور الدين بن علي

ذكر البخاري في ﴿ باب : قول النبي ﷺ « أنا أعلمكم بالله » وأن المعرفة فعل القلب ﴾ حديث عائشة رضي الله عنها قالت :

كان رسول الله ﷺ إذا أمرهم ، أمرهم من الأعمال بما يطيقون. قالوا : إنا لسنا كهيئتك يا رسول الله ، إن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر. فيغضب حتى يعرف الغضب في وجهه. ثم يقول : « إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا ».

ما أروع أن ننظر إلى صاحب الرسالة وقد نصبه الله قدوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر... هذه النظرة التي يريدها لنفسه منا... إنها النظرة الموضوعية التي تدفع إلى العمل وتحفز الهمة نحو المجاهدة والسمو.

فرسول الله ﷺ لم يجعل من الوحي الذي يتنزل عليه حجاباً ليرتفع هو إلى المثالية من خلاله ويتركنا حائرين في أرض الواقع بعيداً عنه... وإنما كان هذا الوحي قدراً ربانياً أظهر لنا من خلاله بشريته ﷺ في أحلى صورها وأروع مواقفها... إنه الذي أوضح للبشرية ما ينبغي أن يكون عليه البشر ، وبين للإنسانية ما يجب أن يصل إليه الإنسان { **قل إنما أنا بشرٌ مثلُكم يوحى إليَّ** } أي يوحى إلي وأنا بشر لأبلغ الناس أنه من كان يرجو لقاء ربه ؛ فليعمل عملاً صالحاً يقتدي فيه ومن خلاله بصاحب الوحي ، وهو بينهم يعيش حياتهم وواقعهم.

ولذلك نجد في هذا الحديث قضية التقوى بالمجاهدة البشرية ، وبيّن النبي ﷺ من خلاله أنه أتقى الأمة ، وأنه أكثرها مجاهدة ودأباً وعملاً. ويدل على هذا ما كان عليه من العبادة والقيام الذي تفطرت منه أقدام السعي والإقدام ، ففي الحديث بيان أنه ﷺ كان يتعامل مع الحياة من خلال معرفته وما حباه الله من فضل ، فلا يتكئ على غفران ذنبه ، ما تقدم منه وما تأخر ، وإنما يحركه كل ذلك إلى مزيد من المجاهدة والإقبال على الله...

وتدلنا كلمة « أنا أتقاكم » أيضاً على أن ما ينبغي أن نلاحظه من أعمالنا هو إخلاص نياتنا ، أكثر من ملاحظة كثرتها وشكلياتها ، وهذا ما كان عليه سلفنا الصالح من الصحابة وتابعيهم بإحسان ، حيث نقرأ من أخبار إقدامهم وشدة حرصهم على رضا الله في قليل العمل أو كثيره.

ويؤسفنا أن نرى اليوم في واقع المسلمين تكاثر الذين يبحثون عن تقوى زائفة ، تخرجهم من دائرة العمل والحركة إلى حظوظ الرغبات والأهواء ، فنجد اليوم باحثين عن الفتاوى التي يلهث أصحابها عن مخارج لهم من ساحات الجهاد إلى ميادين الاسترخاء والقعود ، أو توفر لهم ما يشتهون من متاع الدنيا أو أموالها ، وصار الإقبال على فتاوى التملص والترخص واجتهادات الهروب أو القعود أمراً ظاهراً ، يغطَّى أحياناً بتبريرات شرعية أو يحاول الاستناد إلى ما اشتهر عن سماحة الإسلام ويسر هذا الدين.

وعودة - أخي - إلى قدوة البشر... صاحب الرسالة السمحة ؛ لنرى كيف قدم أصحابَه إلى ربه في يوم الفرقان التاريخي... يوم الفرقان بين الناهضين بأعباء الأمة والمسترخين على فرش الترف... بين العاملين للحق عن طريق بذل الروح والنفس والمال وبين العاكفين على باطلهم وأهوائهم...

لقد قدم المصطفى ﷺ أصحابه إلى ربه آنذاك بقوله : « إن تهلك هذه العصبة فلن تعبد في الأرض ».

لقد قدم هؤلاء إلى الله صفوةً رعاها بقلبه ، وغمر قلبها بفيض حبه ، فكانت النموذج الذي يستحق أن يقدم إلى الرب ، قبل أن يصنع أي حضارة على سطح الأرض ، وقال بحقه كلمة لا يمكن أن يقولها أحد إلا إذا كان مملوء القلب يقيناً ، فإذا لم ينتصر هؤلاء فلا يمكن أن يستحق النصر أحد.

ألا ترى - أخي - بأن هذا الكلام ترتب عليه ما تعلمه من نزول الملائكة لنصرتهم في يوم بدر ؟ ومع كل ذلك أذكرك بأن هؤلاء بالذت هم الذين عوتبوا مباشرة بعد معركة بدر وأُخبروا بأن العذاب كاد أن ينزل... لولا كتاب من الله سبق وأن رسولهم بكى حالهم مع أبي بكر وعمر.

نعم... لا تعجب ؛ فإنهم كانوا في دائرة الإسلام الواضحة البينة ، التي يتعامل شرع الله فيها مع البشر من خلال مجاهدة بشرية دائبة ، فقدم على العمل المنهجَ الذي يقيم دعائم التقوى على أساس قوله تعالى : { **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ❋ ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره** }.

ومن أمراضنا اليوم نسياننا لكثير من هذه المعاني ، وصار منهجنا في التعامل وتقدير المواقف والأشخاص قائماً على تعبيرات نظن نعومتها ، ولكن لم نفكر بمدى سماحة تأثيرها ، من مثل مبالغاتنا

بمبدأ « حسن ظنك » و « التمس سبعين عذراً » بلا منهجية شرعية منضبطة و « نخشى على قلب فلان... ولا نريد إشاعة فتنة » ونظن بأن الأمر يمضي على أحسن حال.